مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 13 ع 01، 16 /01/ 2024
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الزاوية كفضاء للتنشئة السياسية
الزاوية البلقايدية الهبرية أنموذجا

Al-Zawiaya as a Space for Political Upbringing
Al-Zawiya El Hibria El Belkaidia As a Model

درقاوي عمر * DERKAOUI OMAR omarderkaoui01@gmail.com	علم الاجتماع	جامعة وهران -2- محمد بن أحمد/ الجزائر
أد بوزيدي الهواري BOUZIDI ELHOUARI Dep.socio.oran@gmail.com	علم الاجتماع	جامعة وهران -2- محمد بن أحمد/ الجزائر

DOI : DOI : 10.46315/1714-013-001-031

الإرسال: 2023/07/01 القبول: 2023/12/16 النشر: 2024/01/16

**

Abstract:

This study seeks to analyse the reality of the Al-Zawiya institution as a (social-religious) institution and its relationship to the political sphere in an influential and influential debate; Through the monitoring of the two actors' representation (Meridin, Elders Modal); To understand the specificities and features of Algeria formed and deposited in decades, following a series of social, political, economic and security changes experienced by Algeria,Al-Zawiya in Algeria and North Africa emerged as "ties"; In her job, she combines what is sacred religious, and what is social political.

Keywords : Al-Zawiya; Sufi; Public Space; representations.

ملخص باللغة العربية:

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل واقع مؤسسة الزاوية كمؤسسة(اجتماعية-دينية) وعلاقتها بالمجال السياسي في جدلية تأثير وتأثر؛ عبر رصد تمثلات الفاعلين فيها من (مريدين، وشيوخ طريقة)؛ وفهم خصوصياتها وملامحها التي تشكلت وترسبت خلال عقود، على إثر سلسلة من التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأمنية التي مرت بها الجزائر، فالزاوية بالجزائر وشمال افريقيا ظهرت تحت مسمى "رباطات"؛ جمعت في وظيفتها ما بين ما هو ديني مقدس، وما بين ما هو سياسي اجتماعي.

كلمات مفتاحية: الزاوية؛ الصوفية؛ الفضاء العمومي؛ التمثلات.

**

* الباحث المُرسل: omarderkaoui01@gmail.com

1- مقدمة:

لقد لعبت مؤسسات "الزوايا والطرق الصوفية" دورا هاما بتاريخ المغرب العربي، وشمال افريقيا على العموم نظرا للقاعدة الشعبية الهائلة التي كانت تستقطبها تلك المنابر الدينية نظرا للخدمات الجليلة التي كانت تقدمها في الفضاء العمومي، بالإضافة إلى جملة المآرب الاجتماعية، كتقديمها للمأوى للسابلة، والعون للفقراء والمحتاجين، والإعانات المالية ناهيك عن الخدمات الدينية كتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الفقه والنحو....

ومؤسسة "الزاوية" باعتبارها أماكن للتعبد ظلت تحافظ على هذه الوظيفة، إلا أنها اكتست طابع القداسة الذي يطبع المساجد الدينية، كخلع النعال قبل الولوج إليها، وإمكانية أداء صلاة الجماعة فيها، والطهارة، وحرمة المكان وغيرها من الطقوس التي تكفل لها هذه القدسية. ولقد شكلت مؤسسة الزاوية في المنطقة المغاربية ما يُعرف بالقُطب أو "بالموقد المغناطيسي" الوحيد في المجتمع عن طريق خلق مجال للتأثير على الجماعات والأهالي، فالزوايا فتحت المجال للانتقال من "التّصوف" إلى "الطُرقية " .وقد تطرقنا لمؤسسة الزاوية والمنهج الصوفي بشكل عام بدراسة مزجت ما بين المنهج الأنثروبولوجي الميداني من جهة والمنهج التاريخي المتتبع لمسار هذه المؤسسة تاريخيا راصدا جميع التحولات التي عرفتها بالجزائر .

1-2 إشكالية الدراسة:

مما لفت انتباهنا كباحث بمجال العلوم الاجتماعية هو كثرة تبني وتوظيف مفهوم "الزاوية والطريقة" ضمن استراتيجيه الدولة كرهان حقيقي بغية تحقيق "الولاءات والتحالفات"، وتُعد الطريقة والزواية البلقايدية الهبرية بوهران من أبرز الطرق الصوفية التي أقحمت بشكل أو بآخر ضمن إستراتيجية الجمع ما بين السياسي والديني، ومن هذا المنظور فقد انطلقت ورقتي البحثية عبر مخرجات نظرية عادت للبُنى الأولية لهذا التنظيم، وما يزخر به من موروث نظري سواء من خلال مؤلفات ممن نظّروا في هذا المجال، أو حتى بالاستعانة بنتائج دراسات علمية كرست جل جهودها لتحليل وتفكيك هذه العصب المدنية، طرحنا الإشكالات الآتية:

- ما هي طبيعة علاقة الزاوية والطريقة البلقايدية بالسلطة السياسية ؟ هل هي علاقة صدام أم تكامل ؟

وما هي تمثلات مريدي وشيوخ الطريقة البلقايدية الهبرية حيال النظام السياسي؟

1-3 فرضيات الدراسة:

إن الزاوية والطرق الصوفية بالجزائر لطالما كانت تمثل في تفاعلها مع النظام السياسي والدولة كشكل من أشكال التنظيم المؤسساتي الحديث نوعا من التكامل وعلاقة الولاء من باب مكونها المحافظ، وهذا ما وقفنا عليه من خلال مجموعة من التحريات الميدانية التي قادتنا لداخل أسوار

الزاوية البلقايدية بوهران وعبر رصدنا لمجموعة من روافد التأثير والتأثر ما بين الزاوية كرابطة دينية روحية؛ والدولة والسلطة السياسية كمكونين كل يستعين بالأخر لتحقيق نوع من التوازن والمشروعية الوجودية.

الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر كما يعلم الجميع خرجت من قوقعتها الدينية المحدودة المعالم، وانتقلت لتؤدي دورها السوسيولوجي من منطلق حاضنة لفعل هوياتي حافظ على مقومات الأمة الجزائرية قبل الاستعمار وما بعده من خلال ما قدموه من تضحيات جسام ضد المستدمر الفرنسي وبعد الاستقلال في عهد الدولة الوطنية .

وبالتالي افتراضنا قام على أن للزاوية والطريقة محل دراستنا (البلقايدية الهبرية) تؤدي شكلا من أشكال التنشئة السياسية اتجاه أولا تلامذتها ومريدها وفي معنى أعم تجاه عامة الناس فيما تقدمه من خطاب وممارسة تدخل ضمن أطروحة وجوب طاعة ولي الأمر والسير على خطاه؛ والمقصود هنا وجوب التماشي مع الفعل السلطوي والسياسي كنوع من التكامل ما بين الديني الروحي والدنيوي المدني الذي يقصد به في هذا المقام شأن عامة الناس .

2-مفاهيم الدراسة :

2-1:الزاوية: الزاوية: (الدلالة اللغوية)

يشير مضمون مؤسسة الزاوية إلى مدلولين هامين اولهما له دلالات لسانية؛ وهذا ما جاء على ذكره الباحث الاجتماعي المختص في قضايا التصوف الأستاذ عبد الحفيظ غرس الله حيث قال أن لفظ الزاوية جاءت من فعل "انزوى" أي من مصدر زوى الشيء، و"يزويه زوياً" أي في إشارة إلى معنى زويت الشيء أي جمعته وقبضته، فمن المعاني المتداولة في الحديث الشريف ما جاء عن الخليفة عمر بن الخطاب في قوله (كان له أرض زوتها أرض أخرى) وهي في معناها الدلالي الإحاطة بالشيء والإلمام به بركن ما (غرس الله، ع، 2007، ص17)

والمعنى اللغوي يشير هذا إلى اجتماع الضدين؛ أي (التنحي والتقبض) أي تعبر عن ذلك الانعزال الذي يرجو من وراءه صاحبه العلم والتزهد في الدنيا ومتاعها وهذا الذي بالفعل ما يتميز به رواد هذه "الزوايا" دون غيرهم من عامة الناس(حجي، م، 1988، ص81)

2-2:الصوفية (أصل الكلمة واشتقاقها):

وفي هذا السياق يمكننا أن نتعرف على عدة معاني شملت كلمة "الصوفية" أو "الصوفي" ومن الأقوال ما يربط هذا المصطلح تاريخيا بأهل الصُفة من فقراء المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقيمون في "صُفة" بناها رسول الله في مؤخرة مسجده الشريف، بغية الذكر والعبادة لا يبرحونها إلا للغزو والجهاد في سبيل الله، حياة الزهد تلك التي يجمع العلماء على أنها كانت القدوة الحسنة للصوفية من بعدهم(العقبي، م، 2002، 34).

وهناك طرف آخر يمثل في واقع الأمر رأي الأكثرية من العلماء والباحثين في حقل التصوف ممن أجمعوا على أن لفظ "الصوفي" اشتقت من "الصُوف" وهو اللباس الذي التزموا بلبسه لموافقته لما كانت عليه حياتهم المرتكزة بصفة كبيرة على قيم "الزُهد" و"التعفُف" (العقبي، م، 68). وفي نفس السياق يؤكد الباحث عيد الدرويش المختص في قضايا التصوف والذي يقر بصعوبة حصر التصوف في (فئة أو ممارسة) بعينها، أو حتى دين معين، فيعتبره بصفة موجزة بعلم "النُسك"، هذا الأخيرة التي تأخذ أبعاد فردية تجمع ما بين المخلوق والخالق لتسموا الذات لمرحلة التعفف من كل ملذات الدنيوية الشهوانية، والابتعاد عن كل مظاهر الإسراف والتبذير، ومن هذا المنظور فالتصوف ممارسة نجدها في جميع الأديان سواء السماوية كاليهودية والمسيحية والإسلام، وكذا في بعض الديانات الوضعية كالهندوسية والبوذية (الدرويش، ع، 2006، 15.14)

2-3:التمثلات الاجتماعية :

يشير هذا المصطلح إلى مجموع التوجهات الفكرية والعاطفية التي تحكم سلوك مجتمع ما والتي يفكر الباحث على ضوئها ويحلل بالاستعانة بها مختلف الظواهر الاجتماعية، لذلك فإن التمثلات التي يستخدمها شخص معين لها تأثير هام في إدراكه للواقع، و"التمثل" هو عملية استرجاع واسترداد ذهني لمجموعة من ردود الأفعال بواسطة إما صور أو رموز أو حتى علامات متداولة بين مجموعة من الناس، فالتمثلات الاجتماعية من هذا المنظور التحليلي هي نمط من التفكير التعميمي والوظيفي من طرف جماعة اجتماعية كإستراتيجية لتسهيل التواصل والانسجام ضمن محيطها الاجتماعي وفق حدوده المحددة والمغلقة، ويرجع الفضل في اكتشاف عبارة التمثل الاجتماعي إلى عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم سنة 1898 حينما أجرى مقارنة ما بين التمثلات الفردية والجماعية، وذلك من خلال مقاله المشهور في مجال الميتافيزيقا والأخلاق بحيث يعتبر عالم الاجتماع الفرنسي **"ايميل دوركايم"** أن منظومة سلوكيات الفرد تتأثر بما تمليه عليه الجماعة عبر ما يعرفه الفرد من تلقين ضمن مسار التنشئة الاجتماعية وما تؤديه المؤسسات التابعة لها من بناء اجتماعي يحقق نوعا من التوازن للفرد في تفاعله مع جماعة الانتماء أسرة، مدرسة، جماعة دينية، قبيلة، جماعة الرفاق ...الخ.(Dupuntieux, M.2001, 08)

2-4:الفضاء العام:

يعتبر مفهوم الفضاء العام **ESPACE PUBLIC** من المفاهيم التي عايشت صعود الطبقة البرجوازية بأوروبا حيث يرجع أصل توظيف هذا المصطلح للفيلسوف الألماني ايمانويل كانط هذا الأخير الذي دافع بضراوة عن الجرأة في استعمال العقل، حيث يرى أن الاستعمال الخاص للعقل والاستعمال العمومي للعقل هو السبيل الوحيد لبلوغ نظام يقوم على مبدأ الحق، وكنتيجة طبيعية لتحقيق قيم مجتمع الأنوار، لكن المصطلح عرف تحولا وثورة في عملية توظيفه مع

الفيلسوف الألماني "يورغانهبرماس (1929) Jurgen Habermas"ضمن ما أطلق عليه (اركيواوجيا الفضاء العمومي)، ذلك الفضاء الذي يتداخل فيه الفعل السياسي لتأطير الممارسة السياسية والمدنية بواسطة الدعاية La publicité بهدف توجيه الرأي العام L'opinion publique وجهة العمومية، وهنا تصير العمومية معياراً لكل تفكير يحكم أي فعل إنساني في الزمان والمكان، وكل قضية من قضايا الشأن العام: العدالة، الحق، السلطة، القوة، العنف، الواجب، الشرعية، المشروعية، ... الخ(Habermas, J. 1978, P114)

3-منهج وتقنيات الدراسة : منهج وتقنيات الدراسة :

تماشيا مع أهداف الدراسة تم الاعتماد على المنهج الاثنوجرافي، الذي يقوم على وصف الظاهرة وتحليلها انطلاقا من كون هذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن المعاني الكامنة وراء ممارسات الفاعلين عبر معايشة ميدان، باعتبار الباحث أحد مريدي الطريقة البلقايدية الهبرية وهو ما سهل علينا العمل الميداني وذلك بتفكيك العلاقات المصرح بها والضمنية ضمن فضاء الزاوية (غمريّ، م، 1989، ص 55) بالإضافة إلى تقنيتي المقابلة والملاحظة بالمشاركة، من خلال القيام بمجموعة من الملاحظات المباشرة والمقابلات مع الفاعلين (مريدين، شيوخ الطريقة)، حيث كان هدفنا الأساسي والمحوري هو معرفة طبيعة علاقة الفاعلين في الزاوية البلقايدية الهبرية وتمثلاتهم حيال السلطة السياسية كما تم لنا تطبيق تقنية المقابلة مع عدد محدود من مريدي الطريقة الهبرية وشيوخها وعددهم عشرة مبحوثين وعبر فترات زمنية متقطعة ومتباعدة استهدفنا من خلالها التعرف البناء المخيالي والتصوري للفاعلين بهذا الحقل .

تماشيا مع أهداف الدراسة تم الاعتماد على المنهج الاثنوجرافي، الذي يقوم على وصف الظاهرة وتحليلها انطلاقا من كون هذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن المعاني الكامنة وراء ممارسات الفاعلين عبر معايشة ميدان، باعتبار الباحث أحد مريدي الطريقة البلقايدية الهبرية وهو ما سهل علينا العمل الميداني وذلك بتفكيك العلاقات المصرح بها والضمنية ضمن فضاء الزاوية(غمري، ح، 1989، 42) بالإضافة الى تقنيتي المقابلة والملاحظة بالمشاركة، من خلال القيام بمجموعة من الملاحظات المباشرة والمقابلات مع الفاعلين (مريدين، شيوخ الطريقة)، حيث كان هدفنا الأساسي والمحوري هو معرفة طبيعة علاقة الفاعلين في الزاوية البلقايدية الهبرية وتمثلاتهم حيال السلطة السياسية .كما تم لنا تطبيق تقنية المقابلة مع عدد محدود من مريدي الطريقة الهبرية وشيوخها وعددهم عشرة مبحوثين وعبر فترات زمنية متقطعة ومتباعدة استهدفنا من خلالها التعرف البناء المخيالي والتصوري للفاعلين بهذا الحقل.

حدود الدراسة:

أ-المجال الجغرافي: مقر الزاوية البلقايدية الهبرية بسيدي معروف بسيدي الشحمي بوهران، التابعة إداريا لبلدية السانية بوهران .

ب- المجال البشري : مريدي وشيوخ الطريقة البلقايدية الهبرية.

ج- المجال الزمني : دراسة امتدت من فيفري 2018 لغاية ديسمبر2019.

4- تحليل المعطيات الميدانية:

4-1: التعريف بالزاوية الهبرية البلقايدية:

تحمل الزاوية الهبرية البلقايدية الواقعة بوهران اسم علم من أعلام التصوف الجزائري ألا وهو الشيخ محمد بلقايد الذي أخذ الطريقة من الشيخ محمد الهبري العزاوي الزروالي. وتنتسب الزاوية البلقايدية التي يقع مقرها بضاحية "سيدي معروف" إلى الطريقة الهبرية الدرقاوية الجزولية المنبثقة عن الغصن الشاذلي الذي يرفع إلى الغوث أبي مدين الإشبيلي (القايد، ع، 2002، 30).

و تحمل هذه الزاوية العامرة التي تعلوها قبة خضراء امتنانا وتبركا بالقبة النبوية الشريفة في المدينة المنورة اسم سيدي محمد بلقايد المولود عام 1911 من عائلة تلمسانية شريفة مشهورة بخدمة الأولياء. والشيخ بلقايد قد أخذ الطريقة بعد أن أجيز في علوم الشريعة من سيدي محمد الهبري العزاوي الزروالي نسبة إلى بني زروال وهو عرش من عروش قبيلة مجاهر الضاربة بجدورها في مستغانم كاملة وما جاورها. وعرفت الهبرية التي صارت تنسب لمجددها بالبلقايدية انتشارا "هائلا" مع بداية السبعينيات من القرن المنصرم خاصة في المناطق الغربية للوطن كتلمسان وسعيدة ومعسكر وغليزان وتيارت وخميس مليانة وصولا حتى الجزائر العاصمة ومنطقة القبائل. ولد الشيخ محمد بلقايد رحمه الله (مؤسسة زاوية سيدي معروف) - سنة 1332هـ الموافق لـ 1911م في الجزائر، وبالتحديد في مدينة تلمسان الشهيرة عاصمة غرب البلاد. توفي مساء يوم الجمعة 28 ربيع الثانية 1419هـ الموافق لـ 21 أوت 1998م بمدينة وهران ونقل جثمانه إلى مدينة تلمسان مسقط رأسه ليوارى التراب حاله كحال سائر الناس دون ضريح جوار أجداده بمقبرة سيدي السنوسي بتلمسان شهد جنازته خلق كثير صلى عليه ابنه وخليفته من بعده الشيخ محمد عبد اللطيف بلقايد رحم الله الشيخ وجميع المسلمين (القايد، ع، 2008، ص202).

4-2:الزاوية؛ كفضاء لإنتاج وإعادة إنتاج نفس قيم الولاء:

من خلال ملاحظاتنا الميدانية وبعد نتائج الاستبيان التي قمنا به في سياق بحثنا الميداني خرجنا بمجموعة من النتائج التي نراها أساسية في عملية البحثية، حيث تفيد أن مؤسسة الزاوية ومن خلال نموذجنا " الزاوية البقايدية الهبرية" تقوم بشكل دؤوب ومستمر بعمليات إنتاج وإعادة إنتاج داخلي production et reproduction intérieurلأفرادها، وهذا ما يتوافق مع ما جاء به الأنثروبولوجي الفرنسي "بيار بورديو" الذي حلل هذا المعطى النظري وجعله يتسم بنوع من الحتمية l'obligation ضمن ما أسماه بإلزامية "الهابيتوسHabitus "، (حمودي، ع، 2010، 25) من هذا المنظور فإن ثمانية من مجموع عدد المبحوثين ضمن نموذج الزاوية قد صرحوا بأن لهم جدور وأصول مع الزاوية والنشاط الطرقي بشكل عام،

وهذا ما تجلى بصفة كلية بعد التصريحات التي أدلى بها كل من المبحوث "الأول والثالث والرابع والخامس والسادس" كونهم ينحدرون من عائلات مريدة من ومن أتباع الطريقة الهبرية، وهذا ما تجلى بقولهم(انتمائنا للطريقة ليس من اليوم لكن فتحنا أعيننا ونحن في كنف الطريقة الهبرية وبالتالي فنحن ولدنا بالفطرة هبريين) واسترسلوا بالكلام بقولهم أن أصول الطريقة والنشاط الصوفي هي صفات متجذرة واعتبروا الانتماء لطريقة أخرى بمثابة "العار والخيانة لعهد الآباء والأجداد" التي يمكن أن تلاحق "الهبري" . ومن هنا تظهر بقوة نزعة الولاء التي استفاض في التطرق إليها الأنثروبولوجي المغربي "عبد الله حمودي" في كتابه "الشيخ والمريد"حيث يقول بصريح العبارة (هي علاقة تتخذ بنية الولاء الخالص) وهذا ما يحيلنا كذلك إلى نظرية" بياجي" حول تكون الضرورة الأخلاقية عند الطفل فيقول هنا لا يوجد قطيعة ما بين مرحلة الطفولة والاستقلالية الحرية بهذا العالم المغلق الأفق والذي يسير أفراده وفق ما رسمه لهم الآباء والأجداد(حمودي، ع، 2010، 35).

ومن هذا ظهر لنا جليا مدى تأثير الجماعة وانتمائها على الأفراد، وهي بالتالي عملية تنشئة (دينية، اجتماعية، سياسية....) تتخذ شكلا وراثيا عبر أجيال متعاقبة، وقد أكدوا من خلال تصريحاتهم أن أجدادهم قد نقلوا كذلك نفس الانتماء الطرقي لآبائهم في نفس السياق الذي أشار إليه أغلب المبحوثين فبالرغم من عدم انتمائهم لنفس الطريقة؛ إلا أن للعائلة بحسب تصريحاته ميول صوفية ساهمت هذه الاخيرة في توجيه ميوله الطرقي وهذا ما جاء في قولهم بنفس الصدد ملحا على الدور الواجب الملقى على عاتقه كسليل الزاوية، وأحد أبناءها بقوله (الطريقة الهبرية رسالة ونحن أبناءها قد كلفنا بحملها ونشر تعاليمها القويمة السمحاء من منطلقات دينية ووطنية وهذا الأمر المتعارف عليه ما بين جميع الأحبة والتابعين السالكين للطريقة. (مقابلات مع مريدين وشيوخ الزوايا، جوان 2019)

ومن خلال دراستنا الميدانية في فضاء البحث، لاحظنا أن جميع أفراد الزاوية يشتركون وفق تفاعلية رمزية واحدة، سواء في تعاملهم مع بعض هم البعض أو حتى من خلال تواصلهم مع الشيوخ والقائمين على الزاوية، وبالتالي فإن عملية القيم المشتركة "الهبرية" هي سمة غرست في أفرادها منذ السنوات الأولى من الطفولة؛ ومنه فالطريقة بهذا المعنى تقوم بعملية تنشئة داخلية تتخذ في كثير من الأحيان طبيعة دينية وتتجلى عناصر الاقتراب في المظاهر التالية والتي وقفنا عليها من خلال تقنية الملاحظة بالمشاركة :

أ- طريقة قراءة الأوراد، (التلاوة والتهجد الديني) الموحدة بين جميع أفراد الزاوية.

ب- استخدام مجموعة من المصطلحات يتفاعل بها الطلبة والمريدون مع بعضهم البعض أو مع الشيوخ والمقدمين وحتى مع عامة الناس كاستخدام مصطلحات (سيدنا، أسيادنا، الشريف، مرضي الوالدين، القطب الأعظم، الغوث....)

ج - الاحترام الكبير والطاعة شبه التامة التي يتعامل بها الطلبة والمريدين مع الشيوخ والمقدمين في الزاوية؛ هذه الخاصية التي تحيلنا لعلاقة شبه أبوية تغذيها سلطة دينية راسخة متوارثة. (ملاحظات ميدانية جمعناها بفضاء الزاوية، بتاريخ 12 ديسمبر 2019).

4-3: الدولة ومؤسسة الزاوية، وجواز سلطة الولاية:

العديد من المفاهيم التي ظهرت مؤخراء قد أُعيد النظر فيها بعلاقة السلطة السياسية بمنظمات المجتمع المدني بصفة عامة؛ ومن بين تلك المفاهيم والإشكالات الكبرى نجد "حقيقة الدولة المدنية"، استقلالية النشاط المدني، مشروعية نظام الحكم" ..الخ، كل هذه المطالب والتساؤلات قد دفعت بالقائمين على "الفعل السياسي" أن يتعاملوا مع هذه المنظمات بحذر نسبي، يتأرجح في الكثير من الأحيان بين الإكراه والتعسف أو الاحتواء والدعم والتأطير، وعلى ضوء هذا المعطى تجاوب أفراد مجتمع البحث ممثلة في نموذج "الزاوية" كلهم تقريبا بشكل يصبُ في إطار واحد؛ ألا وهو ربط " المقدس الدين بالدنيوي" وهذا ضمن العودة لمرجعية علاقة (العاهل والرعية)، وفي إطار سؤالنا حول طبيعة العلاقة التي تربطهم مع النظام السياسي بصفتهم هيئة (مدنية أهلية)؛ أجاب بعض المبحوثين "على أن الحاكم هو فرد تجوز فيه الولاية العامة؛ لذا وجب علينا جميعا السير على خطاه وطاعته وفق الضوابط الشرعية التي جاء بها الإسلام من كتاب وسنة نبوية مطهرة "ومن هذا المنطلق يمكن القول أن علاقة "الصوفية" عموما بالنظام السياسي لطالما تميزت بنوع من التوافق والانسجام، هذا الخضوع والطاعة التامة التي تجعل من هذا الحاكم بحسب الباحث "عبد الحميد قدوري" يرتقي لدرجة النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛كونه عامل أساسي للحفاظ على الدين وحماية الشريعة والسير بمقتضى التعاليم والأصول التي جاء بها القرآن، وبهذا تظهر "البيّعة" التي لطالما اتخذت طابع عام تعاقدي يحضره العام والخاص من الناس.(قدوري عبد الرحمان، 2000، ص255). على غرار باقي المبحوثين الذين يصرون على أن للدولة تجاوب مع كل النشاطات التي تخرج من رحم الزاوية وهذا خط عكف عليه المسؤولون منذ الاستقلال وبالتالي من خلال تصريحاتهم، فالطريقة الهبرية والزاوية البلقايدية كانت ولازلت وعاء يحوي الفعل السياسي، وأضافوا كذلك " للزاوية انفتاح على العالم الخارجي ولسنا منغلقين على الذات، وتواصلنا مع أصحاب القرار هو شرف للزاوية وإضافة لها؛ ولا يمكننا إلا الترحيب بذلك"، وهذا ما وقفنا عليه من خلال مجلة الزاوية (الأنوار المحمدية) بعد تدشين فرع للزاوية البلقائدية بمدينة "خميس مليانة" سنة 2011، المناسبة التي قدم فيها الشيخ "عبد اللطيف" لتدشين الزاوية مرفقاً بوالي ولاية عين الدفلى" شخصياً وكذا من خلال الافتتاح الرسمي للدروس المحمدية المقامة بتلمسان سنة 2011 ذات المناسبة كذلك التي تميزت بحضور رسمي رفيع المستوى تمثل بحضور "عبد القادر بن صالح" رئيس مجلس الأمة ينوب في ذلك عن رئيس الجمهورية "السيد "عبد العزيز بوتفليقة" بالإضافة لحضور كلٌ من والي تلمسان ووهران. وهي مناسبات أظهرت بشكل جلي مدى الروح التكاملية ما بين السياسي ممثلا في إطارات الدولة وديني روحي متجسدا في الطرق الصوفية وممثليها (شيوخها) بصفة عامة والطريقة البلقايدية الهبرية بشكل خاص (بن عودة، 2012، 40)

4-3:تمثلات مريدي وشيوخ الطريقة البلقايدية الهبرية حيال النظام السياسي:

سعت الدراسة إلى معرفة الدور الذي يمكن أن تلعبه وتقوم به الزاوية والطرق الطريقة والأيدلوجية الصوفية كهيئة مدنية لسد الفجوة التي تركها انسحاب الدولة من القيام بوظائفها السابقة، في ظل

سياسات الانفتاح الاقتصادي والتكيف الهيكلي، وعلى ضوء هذا المعطى تجاوب أفراد العينة المدروسة ممثلة في نموذج "الزاوية" كلهم تقريبا بشكل يصبُ في إطار واحد؛ ألا وهو ربط "المقدس الديني " (النشاط الصوفي) "بالدنيوي" (السياسي) وهذا ضمن العودة لمرجعية علاقة (العاهل والرعية)، ففي خضم سؤالنا حول طبيعة العلاقة التي تربطهم مع النظام السياسي بصفتهم هيئة (مدنية أهلية) فقد أجاب كل المبحوثين ضمن فضاء الزاوية (كون أن الحاكم هو فرد تجوز فيه الولاية العامة ولذا علينا جميعا السير على خطاه وطاعته وفق الضوابط الشرعية التي جاء بها الإسلام من كتاب وسنة نبوية مطهرة) من هذا المنظور فإن علاقة "الصوفية" عموما بالنظام السياسي لطالما تميزت بنوع من التوافق والانسجام، هذا الخضوع والطاعة التامة التي تجعل من هذا الحاكم بحسب الباحث عبد الحميد قدوري يرتقي لدرجة النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم كبديل وظيفي، كونه عنصر أساسي للحفاظ على الدين وحماية الشريعة والسير بمقتضى التعاليم والأصول التي جاء بها القرآن، وبهذا تظهر "البيّعة" التي لطالما اتخذت طابع عام تعاقدي يحضره العام والخاص من الناس.(قدوري عبد الرحمان، 2009، ص255). وهذا خط عكف عليه المسؤولون منذ الاستقلال خلال الافتتاح الرسمي للدروس المحمدية المقامة بتلمسان سنة 2011 من خلال تصريحهم (القائمين على الزاوية والمريدين) "فالطريقة الهبرية والزاوية البلقايدية كانت ولازلت وعاء يحوي الفعل السياسي"، وأضافوا كذلك "للزاوية انفتاح على العالم الخارجي ولسنا منغلقين على الذات، وتواصلنا مع أصحاب القرار هو شرف للزاوية وإضافة لها ولا يمكننا إلا الترحيب بذلك"، وهذا ما وقفنا عليه من خلال مجلة الزاوية (الأنوار المحمدية) بعد تدشين فرع للزاوية البلقائدية بمدينة "خميس مليانة" سنة 2011، المناسبة التي قدم فيها الشيخ "عبد اللطيف" لتدشين الزاوية مرفقاً بوالي ولاية عين الدفلى" شخصياً كذلك ذات المناسبة كذلك التي تميزت بحضور رسمي رفيع المستوى تمثل بحضور "عبد القادر بن صالح" رئيس مجلس الأمة ينوب في ذلك عن رئيس الجمهورية "السيد عبد العزيز بوتفليقة" بالإضافة لحضور كلٌ من والي تلمسان ووهران (بن عودة، ح، 2012، 40).

نفس التوجه الذي تبنته الزاوية التيجانية بمناسبة تشريعيات ماي 2017 تزكيته العلنية لحزب جبهة التحرير الوطنيF.L.N ومنه إعلان وقوفه بصف السلطة الحاكمة، وذلك بقوله " يجب أن نزكي جبهة التحرير الوطني ونحافظ عليها ونزيدها أكثر إن شاء الله " بعدما دعا الشيخ محمد العيد التيجاني أحباب ومريدي الطريقة بتماسين المشاركة بقوة في هذا الموعد الانتخابي، هذه المبادرة التي جاءت بعد زيارة الوزير الأول السيد "عبد المالك سلال" للزاوية، المبادرة التي بحسب المتتبعين لمسار الطريقة هي الأولى من نوعها، كون أن الطريقة لم تفصح يوما عن لونها أو انتماءها السياسي لأي حزب أو تكتُل (التيجيني، 2017، 03) فأضحت تمثل تلك المنابر الصوفية نوعا من الحاضنة الاجتماعية والروحية لجميع الوافدين اليها ومن مختلف الفئات الاجتماعية ولعبت بذلك دور التوجيه والرقابة وحتى التحكم في أحيان كثيرة عبر تقديم الولاء لمن تراه شيوخ الطريقة الأصلح بالمعنى (السياسي- والديني) حيث تصبح هنا الولاية وجوازها تصدر من المتبصر شيخ الطريقة أو معاونيه من العارفين بصلاح الرعية.(Dermenghem, E,1954, 15)

4-4: الفعل السياسي، الزاوية وسلطة الكرامة:

الشيخ "عبد اللطيف" يمثل بهذه الحالة "المرشد الأعلى" لجميع البلقايديين والهبريين بصفة عامة وكل توصياته تتبناها الزوايا الأخرى التي تتواصل مع الزاوية الأم تقريبا بشكل دائم ومستمر، هذه المعطيات التي تلزمنا بالعودة لأحد المفاهيم الكبرى لدى اميل دوركايم في خضم تطرقه للقانون والأخلاق والضبط الاجتماعي، فهناك ولاء ملحوظ للضمير الجمعي اتجاه (الشيخ) الذي يعبر عن مجموعة من المعتقدات والعواطف العامة بين أعضاء المجتمع والتي تكون نسقا خاصاً يتميز بنوع من التضامن الداخلي والحمية الخارجية تأخذنا لمفهوم العصبية الدينية بالمفهوم الخلدوني (الغريب، ع، 2009، 156).

وقد أجمع جل المبحوثين في الزاوية على الأدوار التي باتت تؤديها الزاوية كصمام أمان ضد كل أنواع التفرقة والتهديد التي يمكن أن تهدد وحدتنا الوطنية، بالإضافة لاستعادة أدورها التاريخية، ذات النقطة التي يعود إليها الباحث في علم الاجتماع الأستاذ عبد الحفيظ غرس الله الذي يقول (الزاوية تعود بنفس جديد قادر على المساهمة في إعادة تثمين وتقوية الرابطة الاجتماعية لجلب الأمن الاجتماعي والتأسيس للأصول التي يمكن في ضوئها تقديم بدائل للطروحات الدينية المحلية ذات الطابع المستورد)؛ والتي تسبب في نشوب صراعات حادة، وبالتالي فالتدين "الصوفي والطرقي" هو استجابة وانسجام لحاجيات المجتمع ضمن خصوصياته الثقافية المحلية.(غرس الله، ع، 2007، 23)

لقد حرص الشيوخ المقدمين للتربية الصوفية والتعليم الديني على تطوير أدائهم وبلورة هذا الأداء في صورة تلقين مجسد لشخصيتهم الصوفية القائمة على سمات التسليم والبركة، وهما القناة الخفية لما يمكن اعتباره الكمال في الوظيفة التعليمية التي يفيض عطاؤها على المريد المتعلم الآخذ من علم شيخه، أخذ الضمان المتعطش والمرتوي من بحار علم الشيخ الواسعة، وهذه المعرفة محددة في الظاهر خفية بسر صاحبها في الغالب الأعم. فشيخ الزاوية هو معلم أول هو صاحب علم وسر، العالم بالطريقة والسلوك، وقدوة في العمل ومقصد المريد، يحمل في شخصه النموذج الصالح لحياة الناس وكراماته ومناقبه دليل على رغبته في الصلاح والإصلاح : إصلاح الناس في أمور العلم والدين وولايته قدوة في السلوك .

وهكذا تصبح الوظيفة التعليمية مزدوجة الأداء : تفقيه الناس في أمور الدين وتقديم الأصلح عبر الصلاح، لذلك يصعب التمييز بين سمات الصلاح، والولاية، والأداء التعليمي والسلوكي. لم يرى أفراد الزاوية من خلال احتكاكي بهم طيلة مدة الدراسة، في تدخل الدولة بالشأن الخاص لمنظمات المجتمع المدني بصفة عامة وفي شأن الزاوية بشكل خاص من حرج، هذا ما صرح به أحد الفاعلين الإداريين بنموذج الزاوية البقائدية الهبرية بقوله (إن تدخل الدولة والأخذ باستشاراتها لأمر صحي علينا تشجيعه، ولا رُقي للنشاط المدني بدون الاستعانة والتنسيق مع الدولة كوننا نحن كمنبر ديني عملنا منذ عقود على تحقيق الصالح العام برسالة طيبة تؤلف ما بين الدولة كمنظومة حاكمة وما بين المواطن البسيط، فنشاطنا لا يحمل في طياته القطيعة أو الصراع مع الدولة التي نعتبرها شريك أساسي في عمليات التنمية الاجتماعية التي تتواكب مع الرسالة التي تبنتها الزاوية عبر شيوخها الأطهار منذ النشأة، وتاريخ الزاوية لا

يعدو كونه مسار وطني نضالي لم يدخل في صراع يوم مع الدولة باعتبارها قاطرة أمامية تجر من وراءها المجتمع قاطبة.(تصريحات جمعناها من شيوخ الزوايا والطلبة المريديين، نوفمبر2019)

5- النتائج ومناقشتها:

5-1: مناقشة الفرضية:

الزاوية والطرق الصوفية عموما ارتبط كيانها الوجودي بالتاريخ الإسلامي كونها مؤسسات دينية وعلمية واجتماعية ورباطات سياسية لم تتوانى للحظة بالدفاع عن ثغور المسلمين على اثر الهجمة الاستعمارية التي عرفتها جغرافيتنا العربية والإسلامية عموما، لقد حاولت هذه الورقة البحثية فك غموض المجتمع المدني بالجزائر عبر نموذج (الزاوية والطرق الصوفية) هذه الأخيرة التي باتت تلعب دورا هاماً في بُنى الحياة الاجتماعية والسياسية للجزائر المعاصرة.

فما توصلنا إليه من خلال ملاحظاتنا الميدانية والمقابلات التي أجريناها توصلنا عل أن المريد " البلقايدي الهبري" يعمل على تأصيل المنظومة القيمية للطريقة ومبادئها العامة وأخلاقها العامة، وهذا عبر انتقال جيلي؛ فمن أهم واجبات الآباء اتجاه أبناءهم هو توريث تبنى الطريقة أو المسلك، ومنه فالممارسة الصوفية من خلال نموذج الزاوية تحيلنا كذلك لمنظومة فاعلين ذوو مرجعية ومسلك واحد؛ وهو ما تمثل في منهج دراستنا في الطريقة البلقايدية المتفرعة من جدع الطريقة الهبرية. ومن أهم النقاط التي توصلنا اليها من خلال هذه الورقة البحثية هي كالآتي :

- الزاوية كمؤسسة دينية وواجهة اجتماعية تخضع لوصاية السلطة السياسية.
- مجتمع مدني مسير بسلطة أبوية وهذا ما تجسد في شخصية الشيخ، الطلبة، والمريدون وأتباع الطريقة.
- تكامل رؤية السلطة السياسية مع توجه الزاوية واستخدامها في أحيان كثيرة كبديل اجتماعي وسياسي باعتبارها تمثل نموذج الإسلام المعتدل المبسط الأكثر فهما عند عامة الناس .

***- خاتمة:**

لقد حاولت هذه الدراسة فك العلاقة ما بين السياسي والديني ممثلا في (الزاوية والطرق الصوفية)، هذه الاخيرة التي باتت تلعب دورا هاماً في بُنى الحياة الاجتماعية والسياسية في تاريخ الجزائر المعاصر، فهو بحق ظاهرة جد معقدة تحتاج لعديد من البحوث والدراسات لفهم أبعاد الظاهرة الموضوع من مختلف الجوانب، بهدف رصد أهم العوامل المؤثرة في كينونتها الوجودية بصفتها مجال يخْضع بشكل كبير للسلطة السياسية خاصة في المجتمعات العربية ومن خلال النظم والأنساق الفكرية والثقافية من زاوية التداول المجتمعي لمفهوم المجتمع المدني.

وعندما نُمحص في تاريخ الحركة الوصفية بالجزائر فمن المؤكد أننا نلاحظ على أنها لطالما ارتبط اسمها بالساسي فقد كانت أدورها أيام الاستعمار كرباطات عسكرية ومراكز سياسية قادت جل الثورات الشعبية ضد المستدمر الفرنسي، وبعد الاستقلال أيضاً سجلت ظهورها كفاعل ديني واجتماعي وسياسي؛ وكرهان حقيقي لكل عمليات الانتقال السياسي والتي وظفت فيه كأداة لم شمل وتوافق في كثير من

الفترات الصعبة التي عرفتها بلادنا، ومن هذا الباب كنا ملزمين بالحديث عن عنصر الانتقالية من مقاربة "إنتاج السلطة الرسمية" إلى بُعد "إنتاج السلطة المضادة" مثلتها سلطة الطريقة ومؤسسة الزوايا.

**

المصادروالمراجع باللغة العربية:

1- حجي محمد، (1988)، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب.

2- مؤيد العقبي صلاح، (2002)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البراق، بيروت.

3- الدرويش عيد، (2006)، فلسفة التصوف في الأديان، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق.

4- حمودي عبد الله، (2010)، الشيخ والمريد، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط4. الدار البيضاء.

5- قدوري عبد الرحمان، (2000)، المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة تجاوز)، المركز الثقافي العربي. بيروت.

6- الغريب عبد العزيز(2009)، نظريات علم الاجتماع، مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.

7- أحمد عبد السلام القايد، (2002)، شموس العارفين في تقلب الساجدين: جمع وترتيب محسن الحارث، ط1، ب.ب.

7- غمري محمد حسن، (1989)، الثقافة والمجتمع (الأنثروبولوجية الثقافية والبحث الميداني)، ديوان المطبوعات الجامعية O.P.U. الجزائر.

المجلات العلمية:

1- بن عودة حبيب، (فيفري 2012)، الملتقى السادس للدروس المحمدية، مجلة الأنوار المحمدية، العدد السادس. وهران.

2- طالب عبد الرحمان، (ديسمبر 2003)، نشأة الطرق الصوفية وتدشين الزوايا، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد الرابع. الجزائر .

3- غرس الله عبد الحفظ، (ديسمبر 2007)، الزاوية كفضاء للتنشئة الاجتماعية، مجلة المواقف، العدد الأول. جامعة معسكر.

الجرائد:

8- محمد العيد التيجاني، الثلاثاء 04 أفريل 2017، شيخ الطريقة التيجانية يعلن تزكيته الأفالان، جريدة الخبر الجزائرية، العدد 8470.

المراجع والمصادر باللغة الأجنبية:

1- Habermas,J , (1978). l'espace public archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, traduit par : Marc Lauray, Ed Payot,.

2- DERMNHEM,E , (1954). (le culte des saints dans l'islam maghrébin).Ed GALLIMARD. Paris.